

اللغة النوبية والحضارات القديمة

الخير محمد حسين*

مقدمة

في البدء أحب أن أنوه أن إبراز أهمية اللغات الإفريقية لا تؤثر سلباً على اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم واللغة الرسمية للبلاد. ويبدو أن البعض ينتابه الشعور بالقلق كلما أثير الحديث عن اللغات الإفريقية ودورها في الحضارة الإنسانية. فاللغة النوبية كأحد هذه اللغات، كانت لها اليد الطولى في حضارة وادي النيل، وهذا هو الدافع الذي دفعني إلى البحث بغرض الوصول إلى الصلة المحتملة والمباشرة بين أسماء الأنبياء عليهم السلام والأعلام والمواقع والأحداث مع اللغة النوبية. وذلك من حيث اتصال اللغة باللغات البشرية القديمة وصلتها القوية بالمعارف القديمة وبين أسماء الأنبياء والرسول عليهم السلام والأحداث التاريخية والمواقع التي اتصلت بقصص وروايات هؤلاء الرسل والأنبياء. عليهم السلام والهدف أولاً وأخيراً هو إثراء حقول الدراسات الحضارية من حيث أصل الإنسان وحضارته نبع أساسي واحد رفدته على مر التاريخ روافد كثيرة ومتنوعة ومتباعدة من حيث الأماكن والمواقع ولكنها أثرت المجرى التطوري المشترك للحضارة البشرية على مر الدهور حتى وصلت إلينا بشكلها المائل.

فالحضارة البشرية كتاب فُقدت صفحاته الأولى، فالولوج من البوابة النوبية قد يقودنا إلى العثور على كثير من الحقائق التي غابت عن الكثير من أرباب الألقاب والأقلام، وذلك إما عمداً أو جهلاً. فشعاع الحقيقة لا يُحجب فهو قابل للظهور مهما طال الزمن أو قصر، فليس من السهل أن يواكب الباحث التطور اللغوي ولكن هنالك أدلة دامغة تؤكد وتؤيد أقدمية اللغة النوبية وانتشار مفرداتها في جميع أنحاء العالم القديم. يقول الباحث محمد رشيد ذوق في كتابه - لغة آدم صفحة 138 - وهو يتحدث عن أقدمية الأراضي المقدسة "علمنا أن وادي النوبة الموجود في الجهة المقابلة للبحر الأحمر، يمكننا أن نطلق عليه وادي النبوة، حيث أن عدداً من أنبياء الله عليهم السلام قد نزلوا فيه أو ارتحلوا إليه، وهناك العديد من الأدلة التاريخية تؤكد ذلك"، ويواصل الحديث قائلاً: "إن العلم الحديث أثبت أن حجم



الشعاع الشمسي الساقط على هذه المنطقة الممتدة من مكة المكرمة إلى وادي النوبة يساوي 22 ألف
سعة حرارية شمسية في السننيمتر المربع سنوياً. أما باقي العالم فيندرج من 18 ألف إلى 16 ألف ثم
أقل فأقل. هذا دليل علمي حديث على أن هذه المنطقة – مكة المكرمة، المدينة المنورة، جدة، وادي
النوبة – هي المنطقة التي يفترض أنها قد ذاب عنها جليد الكرة الأرضية قبل سواها من المناطق".
وهذا يدل على أن الحياة البشرية بدأت في المناطق المذكورة.

الفصل الأول

الباب الأول: في لفظ "السودان"، هل أعجمي أم عربي؟

اعتمد معظم الكتاب السودانين على المصادر العربية في تعريفهم معنى "السودان". ولم يحاول أي
منهم الرجوع إلى اللغات الإفريقية والتي كان يفترض أن تبدأ بها المحاولات الأولى، وذلك لمجموعة
من الأسباب منها ما هو متعلق بالجغرافيا والبيئة والثقافة وغيرها. وإليك أبرز ما جاء على لسان
علمائنا الأجلاء:

*كتب الدكتور حسن الفاتح قريب الله بمجلة الثقافة السودانية، العدد 16 بتاريخ ديسمبر 198؟، تحت
عنوان "السودان بين الوصفية والإسمية"، قال: "لون شعب هذا الوادي واختلاف سحنته عن سواه،
ومقابلته بشرته، هو الذي أكسبه الوصف بالسودان".

*أما الدكتور عبد الله الطيب، فقد اعتمد على مقولة الجاحظ "السودان والبيضان"، وقال أن السودان
تعني جمع أسود.

وإذا ما رجعنا إلى المعنى الإفريقي في اللغة النوبية، نجد أن أصل الكلمة "سودان" Sawdan تعني
بالنوبية "المخلوط"، وهو ما ليس بالأبيض البايين ولا الأسود البايين، أي وسط بين السواد الشديد
والبياض الشديد.

فاللغة النوبية لم تجد حظها الكافي من الاهتمام وذلك لأسباب عدة، منها:



1/ منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) لم تهتم بالثقافات الإفريقية كاهتمامها بثقافات القارات الأخرى، كقارتي آسيا وأمريكا الجنوبية.

2/ المنظمات الإقليمية هي الأخرى ركزت جهودها في تحقيق أهدافها العامة دون الاهتمام بإفريقيا ككيان مستقل. على سبيل المثال: المنظمة العربية للثقافة والفنون، تهتم بالثقافة العربية عند تناولها الثقافة الإفريقية، وكذلك الحال للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والفنون هي الأخرى تهتم بثقافات الشعوب الإسلامية في إفريقيا مع التركيز على ما هو إسلامي فقط.

فإذ لم تؤسس لإفريقيا منظمة تربوية ثقافية علمية خاصة بها، فستظل حضارتها وتراثها طي الإهمال.

الباب الثاني: الفراعنة السود أول من حكموا مصر

كلما تقدمت وتطورت وسائل الكشف الأثري كلما ظهرت الحقائق المذهلة عن عراقة وعبقريّة هذا الشعب العظيم – الشعب السوداني – متمثلاً في الحضارة النوبية. أحببت أن أنقل لكم المصدر الآتي وكما ورد.

جاء في مقال مترجم للأستاذ طه يوسف حسن – مقيم في جنيف –، تحت عنوان "فراعنة السودان حكموا مصر حتى أرض فلسطين"، جاء ما يلي:

قدمت القناة السويسرية الأولى الناطقة بالفرنسية TSR يوم الخميس 2005/6/3 برنامجاً عن الحضارة النوبية في السودان وعن ملوك النوبة الفراعنة السود الذين حكموا مصر لعدة قرون من الزمان. وقدمت تلك الحلقة التاريخية القيمة من خلال أشهر البرامج التلفزيونية على الساحة الإعلامية، برنامج (Temps Preset). وقال مقدم البرنامج *أريك بومان*: "إن الحقيقة التي تجهلها الشعوب وربما شعب وادي النيل نفسه هو أن ملوك النوبة في شمال السودان حكموا المصريين لعدة قرون، وأن الحضارة النوبية هي أول حضارة قامت على وجه الأرض وأغرق حضارة شهدها التاريخ في مدينة كرمة حاضرة النيل وعاصمة أول مملكة في العالم. كما أكد عالم الآثار السويسري المعروف في القارة الأوروبية *شارلي بونيه* هذه الحقيقة أمام أعين كاميرا التلفزيون السويسري الذي نقل جزءاً كبيراً من بقايا الحضارة السودانية. *شارلي بونيه* الذي تحدث من مدينة كرمة السودانية ويبدو عليه الفخر والإعزاز بهذه الحضارة التي أصبح هو جزءاً منها حيث مكث في السودان أربعين عاماً". وبدأت رحلة *شارلي بونيه* عندما قدم إلى مصر بعد أن درس علم الآثار في سويسرا ولكن من خلال بحوثه في مصر وجد أن هناك حلقة غائبة في تاريخ الحضارة الفرعونية وأن هناك مرحلة



مهمة من مراحل تلك الحضارة مفقودة. فذهب إلى شمال السودان وبدأ يبحث عن أصل الحضارة الفرعونية التي ملأت الدنيا، وبعد سنوات طويلة من الصبر والعمل المتواصل توصل شارلي بونيه إلى الحقيقة الغائبة وهي أن أصل الحضارة الفرعوني في السودان وأن فراعنة السودان هم الذين حكموا مصر حتى بلاد فلسطين. تحدث شارلي بونيه عن تلك الحضارة التي مر عليها أكثر من 3000 ألف سنة و أكد أن الحضارة الفرعونية في مصر أتت بعد الحضارة النوبية في السودان وأن ملوك النوبة (الفرعنة السود) هم الذين نشروا نل الحضارة من خلال حكمهم لمصر والذي امتد حتى فلسطين واستمر لقرابة الـ 25 عاماً. ولكن، عندما استجمعت مصر قواها وعافيتها في زمن الفرعون نارمر Narmer ، وهو أول من أسس أسرة الفراعنة التي حكمت مصر بدأ الفراعنة يفكرون في اجتياح ملوك النوبة في السودان وبعد قرون من الزمان حكم مصر الفرعون بساميتك Psammétique وسيطر على منطقة النوبة ودخل مدينة كرمة ودمر حضارة الفراعنة السود وهدم القلاع والمعابد وتماتيل الفراعنة السود وكان ذلك في عام 664 قبل الميلاد. وعرض شارلي بونيه التماثيل التي دمرها المصريون والقلاع والمباني الشاهقة التي كانت أعلى مباني في المنطقة بل وعلى مستوى العالم آنذاك، وكان ارتفاعها حوالي 20 متراً، مما يؤكد على أن حضارة كرمة كانت أول حضارة في العالم وكانت تسمى تلك المباني العالية في لغة النوبة بـ deffufa. انتهى المصدر.

وبديهي، أن اللغة التي كانوا يتواصلون بها هي لغة الإنسان الأول. فإذا أردنا حل ألغاز التاريخ والكشف عن غموضه، فما علينا إلا دراسة هذه اللغة (النوبية) بكل جوانبها وفروعها المختلفة المنتشرة في شمال السودان وغربه وجنوب مصر.

الفصل الثاني

الباب الأول: القبائل النوبية

تنقسم القبائل النوبية إلى ثلاث مجموعات رئيسية، موزعة على دولتي وادي النيل (مصر والسودان): أولاً – مجموعة جنوب مصر: من مدينة أسوان إلى أبو سمبل جنوباً، ويسكنها الكنوز ولغتهم النوبية أقرب إلى اللغة الدنقلوية، تليها فدجة وتمثل المنطقة الواقعة بين أبو سمبل ومدينة حلفا في أقصى شمال السودان .



ثانياً — مجموعة شمال السودان: على التوالي من الشمال إلى الجنوب بدءاً من مدينة حلفا: الحلفاويون، السكوت (المحس)، الدناقلة.

ثالثاً — مجموعة غرب السودان: وتتكون من مجموعتين، قبائل الميذوب في شمال دارفور، وتشارك لغتهم في كثير من المفردات مع اللغة الدنقلاوية. و قبائل جبال النوبة في كردفان.

وإذا ما بحثنا عن الرابط اللغوي بين المجموعات المذكورة، نجد مفردات متعددة مع بعض التغيرات في النطق، ونجد اللغة الدنقلاوية رغم موقعها في الوسط، نجد مفرداتها تتواجد بكثرة في جميع القبائل النوبية، حيث نجد مفرداتها في الكنوز وفدجة في المجموعة المصرية، كما نجد مفرداتها عند مجموعة غرب السودان بشقيها — الميذوب وجبال النوبة.

ورد في كتاب قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار نقلاً عن كتاب تاريخ الحكماء ترجمة هـرمس الثالث صفحة 348 "أن النبي إدريس عليه السلام(أخنوخ) الساكن صعيد مصر الأعلى، جمع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان وسجلها على الأهرامات خوفاً من ضياعها، وهو أول من أُنذر قومه من الطوفان". ومعلوم أن صعيد مصر الأعلى هو بلاد النوبة (السودان) بأهراماتها في دنقلا العجوز والبحراوية. وبشهادة المؤرخين، فإنها تعتبر أقدم من أهرامات الجيزة، إذ أن الحضارة انتقلت من الجنوب إلى الشمال. فإدريس عليه السلام هو أخنوخ بالعبرية، وهو نبي الله أخنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وهو الثاني في ترتيب الأنبياء بعد آدم عليه السلام، وآدم جده الخامس. يعني ذلك أن الفترة الزمنية بين إدريس وآدم لم تكن طويلة، كما أن إنذاره لقومه بالطوفان يعني حتماً أن طوفان نوح عليه السلام حدث في نفس المنطقة، إذا وضعنا في الاعتبار الآتي:

- 1- أن الفيضان كان فيضانياً نهرياً مصحوباً بالأمطار ولم يكن فيضان بحر، لأن البحر لا يفيض.
- 2- أن الافتراض القائم من قبل بعض المؤرخين بأن نوح كان في جنوب الجزيرة العربية، يدحضه عدم وجود أنهار في جنوب الجزيرة العربية.
- 3- أن العذاب عادة يأتي من جنس النعمة، أي من العوامل المتجانسة مع البيئة، فسكان الأنهار عذابهم الطوفان، وسكان الجبال عذابهم الرجفة والصيحة، وسكان الصحاري عذابهم الريح.
- 4- النوبيون بحكم وجودهم على نهر النيل، برعوا في الصناعات التي تلائم بيئتهم مثل صناعة السفن والساقية وما تزال المنطقة معروفة بهذه الصناعات، ومعلوم أن الساقية النوبية تعتبر



من الصناعات المعقدة إذا ما قورنت بمثيلاتها من وسائل الري القديمة كالناعورة الشامية والشادوف المصري.

الباب الثاني: أصل كلمة النوبة

ذكرنا فيما سبق ما أثبتته الباحث محمد رشيد ذوق في كتابه لغة آدم، وكيف كانت العلاقة بين منطقة النوبة والأنبياء عليهم السلام وذكرنا على سبيل المثال نبي الله إدريس عليه السلام. فبالرجوع على أصل كلمة "نوبة" نستطيع أن نعرف الكثير عن معنى النوبة وعلاقتها بالنبوة. فأصل كلمة نوبة مشتقة من فعل نوب يعني تخليص الشيء من الشوائب، مثلاً: كأن تقول "أولقي نوب"، أي أجعل الخيط ناعماً سهلاً للاستعمال. وكذلك "جكدكي نوب" أي افرك البامية أو الخضار – عند الطبخ –، والكلمة في معناها العام إزالة آثار الخشونة من الشيء، سواءً كان ذلك بالدلك أو بالفرك. وهذا تقريباً هو نفس مهمة الأنبياء عليهم السلام إذا ما اعتبرنا أن مهمتهم هي ترقية المجتمع من الرذائل. وعن إدريس عليه السلام، ذكر الدكتور عبد الوهاب النجار مؤلف قصص الأنبياء في كتابه صفحة 348 "أنه أول من أندر قومه بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار، فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي في صعيد مصر الأعلى (السودان) وصور فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده خفية أن يذهب رسمها من العالم" إنتهى المصدر. نرجع إلى أصل اسم إدريس بالنوبية، فالاسم يتكون من مقطعين (إد – Id) تعني الإنسان و(إريس iris) تعني الطيب، وكلمة "إد" مرادفة لكلمة "أدم" التي تعني الإنسان بالنوبية أيضاً. وهناك حيوان خرافي في الأدب النوبي يسمى إيدكال (idkal) ومعناه أكل لحوم البشر، وتوجد مناطق في شمال دنقلا تحمل المقطع الأخير من اسم إدريس، مثال لذلك: شلال إريس، وقرية إريس الأثرية. والمدهش أنه لاتخلو عائلة في إريس من إسم إدريس.

معلوم أن بلاد النوبة قديماً كانت تشمل معظم أراضي السودان الحالية ولعل هذا هو السبب الذي يجعلهم دائماً في مقدمة الذين ينادون بوحدة السودان. يقول الدكتور ول ديورانت مؤلف كتاب قصة الحضارة – الجزء الثاني صفحة 65 ترجمة زكي نجيب محمود "ما من أحد يعرف من أين جاؤوا المصريون الأولون، ويميل بعض العلماء الباحثين إلى الرأي القائل بأنهم مولودون من النوبيين والأحباش".



الباب الثالث: نوح عليه السلام

علمنا فيما سبق، كيف تحكّم المستعمر الأبيض على عقولنا وأفكارنا، كما سيطر على مواردنا البشرية والمالية ربحاً من الزمن. إننا في حاجة إلى معرفة "من نحن؟"، ولمصلحة من تطمس الحقائق عن الأعيان، وتلفق المعلومات؟ لاشك في أن هنالك كثير من الحقائق مازالت مجهولة في ميدان البحوث والدراسات الحضارية، وهذا يحتاج إلى مراكز متخصصة للغات الإفريقية، إذ أن الجهود التي تبذل للوصول إلى قناعات هي جهود مشتركة تأتي ثمارها لخدمة الإنسانية جمعاء. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية عرض الأفكار والآراء والوصول بها إلى مرافئ الحقيقة بهدف إثراء الجهود المبذولة في حقل الدراسات الحضارية.

اللغة النوبية وأسماء الأنبياء والأعلام: نوح عليه السلام (نو Noo) تعني الجد بالنوبية، أنو(annoo) تعني جدي، إنو (innoo) تعني جدكم، تنو (tinoo) تعني جدهم، مانو (manno) للإشارة إلى الجد البعيد - ذاك الجد. وهنا، أريد أن أسلط الضوء على أقوال الآخرين عن "نو". ذكر مجدي حسين في جريدة الشعب المصرية، بتاريخ 1996/8/27: "إن المصريين القدامى كانوا يعبدون إلهاً اسمه نو (Noo) وهو جدهم الكبير. ومعلوم أن الجد بعد الطوفان هو نوح عليه السلام. وهنا أحب أن أذكر قصة أوردها الدكتور عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء، نقلاً عن تاريخ الأدب الهندي، الجزء الأول المختص بالثقافة الهندية، للسيد أبي النصر أحمد الحسيني البهوبالي، مخطوط صفحة 42 - 43، قال في الباب الخامس وعنوانه "برهمانا وأوبانشاد"، يقول: "ومما يلفت النظر في ساتا برهمانا قصة الطوفان التي بينت في ضمن بيان الضحايا، والقصة وإن اختلفت في وجوه كثيرة عن ما في القرآن والتوراة، إلا أنها توجد شواهد قاطعة تربط القصة الهندية مع السامية وتوجب الاهتمام، ففي هذه القصة البرهمانية يقوم مانو (Manoo) بدور سيدنا نوح في القرآن والتوراة، و"مانو" اسم نال التقديس والاحترام في أدب الثقافة بأسرها من الوثنيين. وذات يوم عندما كان مانو يغتسل في النهر، جاءت سمكة وقالت أنها ستنقذه. وعاشت السمكة في المرتبان، فلما كبرت أخبرت مانو بالسنة التي يأتي فيها الطوفان، ثم أسرت على مانو أن يصنع سفينة كبيرة ويدخل فيها عند طغيان الماء، قائلة أنا أنقذك من الطوفان. فصنع مانو السفينة، والسمكة كبرت أكثر من سعة المرتبان، لذلك ألغها في البحر، ثم جاء الطوفان كما أنبأت السمكة وحين دخل مانو السفينة، عامت السمكة إليه فربط السفينة بقرن، فجرتها إلى الجبال الشمالية، وهنا ربط مانو بشجرة. عندما تراجع الماء وخفّ، بقي مانو



بوحده" يعلق الدكتور النجار قائلاً: (هذه هي قصة الطوفان وأهميتها الحقيقية ليست في الاتصال الموعز في كلمات مانو والسفينة والطوفان، بل في النور الذي ترميه القصة في كشف التاريخ الابتدائي". انتهى المصدر.

ذكرنا آنفاً أن مانو تعني بالنوبية: ذاك الجد، وأن ما (ma) اسم إشارة للبعيد، ولا غرابة في أن تصف الهندود نوح عليه السلام بالجد البعيد، وذلك لبعده موطنه وأصله النوبي. جبل الجودي (جودي judi): تطلق في النوبية على نوعين من الأدوات الحجرية: 1/ حجر النار، الذي يستعمل في صيانة الأسلحة. 2/ حجر الطحن، الذي يستخدم في طحن الغلال. لا أخالف كثيراً الذين يقولون أن جبلاً باسم الجودي لا يوجد في بلاد النوبة، وذلك للأسباب الآتية:

1/ أن القرآن الكريم يصف موقع نوح عليه السلام حين رست السفينة على الجودي، يقول الله تعالى في سورة هود، آية 44 "وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين". يعني هذا أن السفينة رست في منطقة بعيدة عن موطنهم الأصلي (بلاد النوبة).

2/ أن الله تعالى منح الأولين القوة الجسمانية والعمر الطويل، ولذلك كان التحرك والانتقال من مكان إلى مكان سهلاً بالنسبة لهم، كما منحنا القوة العقلية ولكن على حساب القوة الجسمانية. قال تعالى في سورة الروم "أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها". وذكر المؤرخون أن أول بلدة استقر فيها نوح عليه السلام بعد الطوفان توجد في العراق، وكانت تحمل اسم أروي (Orwi) وهي تعني بالنوبية الملوك، جمع ملك (أور Or)

ملاحظة: هنالك ظواهر طبيعية غير عادية واكبت نشوء مجرى النيل في بداية الأمر، وذلك في شكل فيضانات واحتباسات مائية كانت تحدث من حين لآخر، وكانت قوتها تتفاوت حسب كمية المياه المحبوسة، إلى أن تكون المجرى بشكله الحالي، كما أن البحر الأحمر (بحر القيلزوم) لم يكن موجوداً قبل حدوث الأخدود الإفريقي، مما يجزم أن شرقه وغربه كان وحدة جغرافية واحدة مما ساهم في سهولة الانتقال بين الجانب الإفريقي والجانب الآسيوي. أما أصل لفظ القيلزوم فيرجع إلى الأصل النوبي (قيلي) الذي يعني: الأحمر.



الباب الرابع: كوش

الحضارة النوبية والحضارة الكوشية هي واحدة تقريباً، فمن هو كوش هذا؟ هو كوش بن حام بن نوح عليه السلام، فنوح عليه السلام هو جده والد أبيه مباشرة، وهذا بشهادة جميع المؤرخين، عرباً كانوا أو أعاجم، فهل يعقل أن ينسب كوش إلى النوبة ويبعد نوح عليه السلام عنها؟ إلى يومنا هذا، نجد قبائل النوبة في شمال السودان وغربه يسمون أبناءهم الذكور ب كوش والإناث ب كوشي (koshei). ومن العادات الشائعة عند النوبيين، ولاسيما في أوساط غير المتعلمين من كبار السن، أنهم كلما حدق بهم شر أو خطر، يرددون "إنشاء الله نكون من ركاب سفينة نوح". من الذي علمهم بأن الفريق الذي دخل السفينة مع نوح عليه السلام حالفه النجاة، والذين لم يحالفهم الحظ في الركوب كان مصيرهم الهلاك والموت؟ إن أحداث القصة تتواتر كما هي في العادات والتقاليد لكل أمة، وأبرز دليل على ذلك، العادات الفرعونية في عبادة النيل ما زالت تمارس في كثير من مناطق السودان، ونجد كثيراً من الأسر السودانية في الشمال والجنوب والوسط يزورون النيل في مناسبات الزواج والختان والولادة، وذلك بغرض الشفاء. وهكذا تتواتر التقاليد والعادات والمعتقدات في كل أمة.

الفصل الثالث

الباب الأول: رأي العلم الحديث

ورد في جريدة السوداني الدولية، العدد 353 بتاريخ 2006/11/1 للكاتب قصي همور مقالاً تحت عنوان: نظرة جينية لموضوع الهوية. فالى المقال: "هذه محاولة للنظر لموضوع الهوية السودانية من زاوية مختلفة بعض الشيء، وهو الموضوع الذي استغرق تناوله سنين طويلة بين السودانين، بتعقيداته وتبعاته. وهي محاولة، رغم ابتعادها عن العوامل الثقافية، التاريخية والعقيدية واللغوية والأيدلوجية بصورة عامة، إلا أنها لا تنفي تأثير هذه العوامل على مشكل تعريف الهوية في السودان، في مختلف مراحلها وتجلياته. غير أن تعدد زوايا النظر إلى هذه المشكلة يسهم بشكل إيجابي، في زعمنا، في محاولة استجلاء الأمر بصورة أكمل.



في عددها الشهري لمارس 2006، قدمت مجلة الناشونال جيوغرافيك (Geographic National)، لموضوع الغلاف، مقالاً علمياً رصيناً وزاخراً، كعادة المجلة. الموضوع يتناول، بصورة عامة، مسقط رأس الجنس البشري المعاصر (Sapiens Homo)، أي الجزء من الأرض الذي ظهر فيه لأول مرة، ومن ثم رحلته على سطح الكوكب، بجميع أصقاعه، ليصيرَه أهلاً به في قاراته الخمس*.

المقال يركز على خلاصة الأبحاث العلمية المعاصرة في مجالي البيولوجيا والأنثروبولوجيا. وهو يحاول عبر هذه الركيزة تناول الخطوط العامة لرحلة استغرقت عشرات الآلاف من السنين على سطح هذا الكوكب.

نقطة البداية هي أفريقيا، حيث تشير الأبحاث إلى أول ظهور للجنس البشري المعاصر. يقوم المقال بعدها بتقصي ثلاث مناطق في المساحة الشاسعة لأفريقيا، إحداها هي صحراء الكالاهاري، في جنوب القارة، حيث تعيش لليوم شعوب السان (San People The) الذين استطاعوا، وحتى وقت قريب جداً، أن يحافظوا على نفس الصيغة العامة لمجتمعاتهم وأساليب عيشهم لآلاف السنين (بما في ذلك اللغة التي تعتبر، بخصائصها المتميزة، من أقدم اللغات التي عرفها الجنس البشري على وجه الأرض). والمنطقة الأخرى هي منطقة شعوب البياكا الأقزام (Pygmies Biaka) في وسط أفريقيا. أما المنطقة الثالثة فهي حيث توجد بعض القبائل من شرق أفريقيا. شعوب السان و قبيلتان من قبائل شرق أفريقيا يشتركون في وجود تلك الخصائص المتميزة في اللغة**×. شعوب هذه المناطق الثلاث هم أكبر المرشحين، حسب الأبحاث، لأن تكون أول مجموعة خرجت من أفريقيا منهم.

ويشير المقال لأن أول رحلة خارج أفريقيا قامت بها مجموعة بسيطة العدد (بضع مئات تقريباً)، ومن ثم صارت هذه المجموعة البسيطة الأسلاف الشرعيين المشتركين لكافة شعوب الكرة الأرضية اليوم، خارج أفريقيا. بعد عشرات آلاف السنين من الترحال المتواصل على مدى المعمورة.

ومن أكبر الأسانيد التي تعتمد عليها هذه النظرية الأنثروبولوجية هي الخريطة الجينية لشعوب العالم اليوم. حيث تشير الدراسات الجينية إلى أن أكبر قارة اليوم، من حيث التنوع في المعالم الجينية لسكانها من البشر (Genetic Markers)، هي أفريقيا، القارة الأم. أما بقية شعوب العالم، فإن الملامح الرئيسية لمعالمها الجينية المعاصرة (جميعها) تعود إلى نسبة بسيطة من الخصائص الجينية



المتوفرة في القارة الأفريقية اليوم! أي أن أفريقيا، في تنوعها الجيني، تفوق جميع قارات العالم.. أكثر من ذلك، فإن المعالم الجينية للشعوب غير الأفريقية لا تعدو كونها جزءا من المعالم الجينية الموجودة في أفريقيا، إذ ليس هناك معلم جيني أساسي في البشر المعاصرين، في جميع أنحاء المعمورة، لا تعود أصوله لأفريقيا.. يقوم المقال بعرض صورة توضيحية لهذا الأمر، تبرز فيها خريطة العالم مع وجود نقاط ملونة فيها ترمز للمعالم الجينية الأساسية في الـ (DNA) البشري. من توزيع هذه النقاط، يظهر جليا أن التكوين الجيني لكافة شعوب العالم خارج أفريقيا آت من جزء بسيط من التكوين الجيني العام لشعوب أفريقيا.

(Diverse From the Start - The diversity of genetic markers is greatest in Africa (multicolored dots in map), indicating it was the earliest home of modern humans. Only a handful of people, carrying a few of the markers, walked out of Africa (center) and, over tens of thousands of years, seeded other lands) right). "The genetic makeup of the rest of the world is a subset of what's in Africa", says Yale geneticist Kenneth Kidd.) ***

بعد ذلك تصبح الاختلافات الماثلة أمامنا اليوم في سحنات البشر وعموم ملامحهم حول الأرض عبارة عن خصائص مكتسبة من البيئات المغايرة، تم دخولها تدريجيا في التركيبة الجينية عند الشعوب، ومن ثم توارثها، عبر فترة مديدة من آلاف السنين.

وبعد هذا التلخيص الملخص، نتأمل قليلا في بعض المفارقات التي تسود عالمنا اليوم. خصوصا في أرض السودان. هذه الاكتشافات العلمية تواجه الكثير من اللغط المتوارث حول مفاهيم النقاء والاستعلاء العرقي عند شعوب العالم اليوم. خصوصا عندما نسوق الأمر إلى نهاياته المنطقية! ومن عجب أن الكثير من أهل السودان اليوم، وهم يعيشون في منطقة مرشحة علميا لأن تكون أصل جميع البشر المعاصرين خارج قارتهم (شرق أفريقيا)، لا ينفكون يحتالون لأنفسهم الحيل الثقافية للتخلص من وصمة عرقية، يرون فيها ما هو أقرب لوصمة العار! في حين أن هذه الوصمة تحمل الجذور الشرعية لكل شعب آخر يسعون للانتماء إليه، وجدانيا وعرقيا، بشتى السبل.

عجبا لقوم يزدرون أصولهم الأولى، السابقة، ومن ثم يفاخرون بأصول لاحقة! إن صح، جدلاً، زعمهم في الانتماء لتلك الأصول اللاحقة. الأمر برمته يصبح من المضحكات المبكيات. ويمكننا أن ندير



البصر في كافة أرجاء الأرض اليوم، لننظر إلى دعاوي الاستعلاء العرقي المختلفة، أيا كانت، لنجد نفس الصيغة المضحكة المبكية. خصوصاً عندما نسوق الأمر إلى نهاياته المنطقية!".

هامش:

..6. Page 6..2James Shreeve. »National Geographic Magazine - March ×

.63Same Article. Page **

.(with illustrating map on the same page 63Page ***

.62Page +

.71Page ++ (انتهى المصدر).

الباب الثاني: رأي المصريين

يقول الأستاذ مجدي حسين في جريدة الشعب المصرية تاريخ 27 / 8 / 1996 تحت عنوان (شعب وادي النيل شعب واحد وحضارة واحدة) "إن تاريخ مصر يبدأ جنوباً ويتمحور مع إفريقيا، وقد ظهرت في الأسواق منذ عام ترجمة الدراسة المهمة للمؤرخ السنغالي الشيخ أنتا ديوب واسمها الأصول الزنجية في الحضارة المصرية وهي دراسة علمية مهمة، ليس من المهم أن نتفق تماماً أو نختلف معها المهم أنها تفتح آفاقاً رحبة لدراسة تاريخ مصر. والحقيقة أن المصريين كانوا دائماً ينظرون إلى الجنوب(السودان) باعتباره منبع النيل وبالتالي منبع الآلهة بل موطنهم الأصلي. ويشير الشيخ أنتا ديوب أن الحضارة المصرية لا بد أن تكون قد نشأت جنوباً في البداية، لأن الشمال الأفريقي كله كان مغموراً بمياه البحر، ثم عمت الحضارة تدريجياً الشمال الإفريقي وذلك مع استقرار النيل وجفاف الشمال الإفريقي، وهي على أي حال حقيقة جيولوجية متفق عليها والدراسة لا تستند إلى أفكار قائمة على التخمين بل إلى كثير من الحقائق التي لا يمكن المماراة فيها وهي تؤكد التقارب الذي يصل إلى حد التماثل بين اللغة المصرية القديمة واللغات الزنجية في غرب القارة الإفريقية وجنوبها ويؤكد التماثل بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة الإفريقية. والدراسة تكشف بذكاء وعلمية كيف طمست كتابات المستعمر العنصري الحضارة الإفريقية التي لاحظ شواهداها بعض المكتشفين والرحالة من بينهم ابن بطوطة، ولأننا نقرأ تاريخنا ثم نكتبه بأفكار الغربيين وكتاباتهم فقد وقعنا في هذا الفخ". ويواصل مجدي حسين "نحن نعتمد في كثير من معلوماتنا وآرائنا عن مصر القديمة على هيرودوت



الذي زار مصر في العهد الفرعوني ولكننا لم ننقل عنه بأمانة لأن هيروdot أول من أثبت أن الشعب المصري القديم كان يغلب عليه الطابع الأسود والزنجي، يقول هيروdot، على سبيل المثال، عن الإغريق أنهم عندما يقولون أن هذه المرأة سوداء فإنهم يقصدون بذلك أن هذه المرأة مصرية. وهذا ما أكده أيضا ديو دور الصقلي الذي تعد كتاباته أحد المراجع الأصلية عن التاريخ المصري القديم، وهذا ما لخصه ماسبيرو باعتباره رأي كل المؤرخين القدامى فإنهم ينتمون إلى جنس إفريقي. ويقول شيروبيني مرافق شامبليون "أن مصر ليست سوى مستوطنة سودانية". انتهى المصدر.

الفصل الرابع

الباب الأول: اللغة النوبية والأنبياء

أذكر هنا الشروط التي يجب توفرها في لغة الإنسان الأول كما ذكرها الباحث محمد رشد ذوق في كتابه لغة آدم، وهي:

- 1- يجب أن تكون هذه اللغة قديمة قدم الإنسان.
- 2- يجب أن تكون اللغات التصويرية الأولى تحتوي على معاني هذه اللغة.
- 3- يجب أن تكون مفرداتها منتشرة في العالم القديم والحديث.
- 4- يجب أن يكون للناس الأوائل الذين عاشوا في الأرض صفات مشتقة اشتقاقاً أصلياً منها. وإذا أردنا أن نضع الشروط المذكورة آنفاً على اللغة النوبية، نجدها تطابق في كثير من الجوانب. واليكم بعض الأمثلة:

* - آدم عليه السلام:

(آدم adem) تعني الإنسان بالنوبية، وهي مرادفة لكلمة "إد" كما ذكرنا من قبل.

* - حواء:

(أواء owwa) تعني الثاني أو الثانية.

* - هابيل:

(هاب hap) يعني الفعل يمسك بلطف، ويستعمل في التعامل مع الأشياء القابلة للكسر، (إيل eal)

أداة اسم الفاعل بالنوبية، إذن هابيل يعني: الماسك بلطف .



* - قابيل:

(قب gap) يعني الفعل يخنق، وحتى العرب في السودان يستخدمون هذا الفعل كثيراً، كأن يقول أحدهم: فلان قبقب فلاناً، أي خنقه. فالكلمة أصلاً نوبية. (إيل eal) أداة اسم الفاعل بالنوبية. هابيل: يعني الخناق.

* - إسحاق عليه السلام:

يقول الثعلبي في كتابه: قصص الأنبياء صفحة 96 في وصف يوسف عليه السلام "أن يوسف ورث الحسن من جده إسحاق بن إبراهيم، وكان أحسن الناس، وإسحاق هو الضاحك بالعبرية". وهو نفس المعنى بالنوبية، فالكلمة أصلها "أسو آق" (osu ag) ويعني الضاحك أيضاً.

* يوسف عليه السلام

ويتكون من مقطعين. يو، وتعني الأم بالنوبية، وسف (أصلها "شف")، وهي قطعة كبيرة من الحلبي دائرية الشكل تستخدمها النساء في العنق، وأصل الاسم هو (يونشف)، أي الشف هذا ملك للأم. علماً بأن حرفي السين والشين يتبادلان في العبرية، كاسم موسى وموشى.

* يونس عليه السلام

يقول الثعلبي في كتابه قصص الأنبياء، صفحة 228، أن والدته يونس بن متى طلبت من إلياس أن يطلب الله أن يحيي ولدها الوحيد الرضيع يونس بعد وفاته، فدعا إلياس أن يحييه، فأحياه الله تعالى مرة أخرى. انتهى المصدر. متى: أصلها بالنوبية: متي وتعني الوصية التي يوصيها الميت عند وفاته للورثة، "متي مر" بالنوبية: أوصي الوصية. يو: تعني الأم، ونون: أداة الإضافة. أسي: تعني الماء. والاسم بالنوبية: يونسى. والله أعلم. والملاحظ أن "يو" تدخل في أسما الأنبياء الذين لهم علاقة متميزة بالأم.

* إسماعيل عليه السلام:

نفس المصدر السابق للثعلبي صفحة 132، يقول أن إسماعيل هو شمويل بالعبرية. (سميل Samil) يعني الشيخ بالنوبية. (وهو لقب لمنصب جامع الضرائب).

* إبراهيم عليه السلام:

ورد في التوراة، سفر التكوين إصحاح 13، من الآية 1 إلى 4، "فصعد إبرام من مصر وامرأته وكل من كان له ولوط معه إلى الجنوب 2/ وكان إبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب 3/ وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى المكان الذي كانت ضمته في البداية بين بيت إيل



وعاي 4/ إلى مكان المذبح الذي علمه هناك أولاً ودعا هناك إبرام بإسم الرب". إبراهيم هو إبرام بن تارح بن ناحور بن سروج. إبرام: بلدة في المحس، سروج: بلدة في نفس المنطقة أيضاً.
***سارة زوجة إبراهيم عليه السلام:**

ورد في التوراة، إصحاح 12 آية 5 "فأخذ إبرام ساري امرأته ولوطاً ابن أخيه". وفي سفر التكوين إصحاح 17 الآية 5 "وقال الله لإبرام ساري امرأتك لا تدع اسمها ساري بل سارة". (ساري sari) يعني الطيبة بالنوبية الدنقلوية، وإلى اليوم يستعمل في التحية. (سارينامي sarain agme).
***يعقوب عليه السلام:**

ورد في التوراة إصحاح 13 الآية 17 "أما يعقوب فارتحل إلى سكوت وبنى لنفسه بيتاً ووضع لمواشيه مظلات لذلك دعى اسم المكان سكوت. كوت: تعني العلامة، "س" أو "ص": تعني الأرض بالنوبية القديمة، وهي مرادفة لكلمة (Geo) المقطع الأول لجميع علوم الأرض. ورد في كتاب قصص الأنبياء للثعلبي على لسانه، في صفحة 88، أن إسحاق عليه السلام تزوج رفقة بنت بتويل نورد هنا قصة عجيبة ذكرها السدي وهي: أن رفقا حملت في بطن واحد بغلامين، فلما أرادت أن تضع، اقتتل الغلامان في بطنها، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص والله إن خرجت قبلي لاعترضن في بطن أمي فأقتلها، فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله، فسمي عيصاً لأنه عصى، فخرج قبل يعقوب وسمي الآخر يعقوب لأنه خرج آخراً. وكان عيص صاحب صيد وكان أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبهما إلى أمه. إنتهى المصدر. **عيص**: أصله آيس Aiss، ويعني بالنوبية الحر الشديد، والمعنى ضمناً نفس صفاة عيص، بينما **يعقوب** علاقته المتميزة بأمه تظهر من المقطع **يو** في اسمه.

*** يو كابد: والدة موسى عليه السلام:**

ورد في التوراة سفر الخروج، إصحاح 4 آية 31 "وأخذ عمرا م يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى". "يو" تعني ماما (الأم)، (كابد) تعني القراصة وهي من أنواع الخبز الفطير غير المخمر. وهو النوع الوحيد من الخبز الذي كان مسموحاً لبني إسرائيل بأكله في رحلتهم الطويلة، كما جاء في التوراة، سفر الخروج، إصحاح 12، الآية 15 (سبعة أيام تأكلون فطيراً، فإن من أكل خميراً من اليوم الأول إلى السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل). كذلك، وصفت القراصة في التوراة بخبز المشقة، ولذلك اعتمد عليها بنو إسرائيل طوال رحلتهم الشاقة لأنها لا تحتاج إلى جهد كبير في الإعداد. جاء في سفر التثنية، إصحاح 6، آية 3 "سبعة أيام تأكلون فطيراً خبز المشقة



لأنك بعجلة خرجت من أرض مصر". وعن سبب تسمية القراصة بالكابد، نرجع إلى الأصل النوبي، "كا" تعني البيت. "بود" تعني العراء أي المكان الخالي من البيوت. المعنى الكلي: اللا بيت، أو المكان الخالي من البيوت.

* موسى عليه السلام:

موسى: يعني بالنوبية المرفوض وغير المرغوب فيه، وينطق بالنوبية "موسا" (Mossa)، ويؤكد ذلك ما جاء في التوراة عن سبب التسمية. سفر الخروج، إصحاح 2، آية 5 "فنزلت ابنة فرعون إلى النهر فرأت السفت بين الحلفا (6) لما فتحته رأّت الولد وإذ هو يبكي (7) ودعت اسمه موسى وقالت إني انتشلته من الماء". واضح هنا سبب التسمية، إذ أنها اعتبرته غير مرغوب فيه من قبل أهله ولذلك ألقوه في الماء.

الباب الثاني: النوبيون يستخدمون البقر في الساقية

قال تعالى في سورة البقرة الآية (71) قال أنه يقول أنها بقرة لاندلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها.. إلى آخر الآية.

نجد هنا شرطين للبقرة المطلوبة:

الأول: أن لا تثير الأرض، أي لا تستخدم في الحرث.

الثاني: أن لا تسقي الحرث، أي لا تستخدم في الساقية.

قد نجد في المنطقة العربية من يستخدمون البقر في عملية حرث الأرض، ولكننا لا نجد من يستخدم البقر في السقي إلا في المنطقة النوبية (السودان) فالنوبيون وحدهم هم الذين يستخدمون البقر في الساقية. وكلنا يعلم أن وسائل الري الأخرى كالشادوف المصري والناعورة الشامية لا تحتاج إلى بقر للتشغيل. وهذا يضاف إلى الأدلة التي تثبت أن موطن موسى عليه السلام السودان .

الباب الثالث: مدينة عبري في شمال السودان

الإسم القديم هو "أبرتي" (abirti)

وهو اسم يطلق على أطراف القماش بعد ثنيها وخطاطتها لتكون أكثر متانة، واسم أبرتي تشبيه للبحر حين انفلق لموسى عليه السلام بالقماش بعد شقه و ثني طرفيه وخطاطتها. علماً بأن اسم البحر يطلق



على النهر أيضاً في اللغة العربية. ورد في كتاب قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار، صفحة 7، عن معنى العبرية "يقول الدكتور إسرائيل ولفستون أن لفظ عبري يعني العبور بالعبرية وهو نفس المعنى بالعربية". وعبرى هي المنطقة التي عبر منها سيدنا موسى إلى الشرق، فأتبعه فرعون وجماعته. قال تعالى في سورة الشعراء الآية 9، "فأتبعوهم مشرقين". وورد في التوراة أن النبي موسى عليه السلام وجماعته عند ما عبروا البحر إلى الشرق وأغرق الله فرعون وجيشه، ضربت مريم ابنة عمران الدف فرحاً بالنجاة والنصر على فرعون. والحقيقة الماثلة اليوم أن المنطقة التي تقع على الجهة المقابلة لعبري تسمى "مريم بوت": وتعني بالنوبية: أرض مريم أو منطقة مريم.

الباب الرابع: أين كان موطن بني إسرائيل قبل نزولهم إلى مصر؟

هنالك جهتان أساسيتان في هجرة بني إسرائيل، والجهتان هما: 1/الجهة التي اتجهوا إليها عندما نزلوا إلى مصر.

2/الجهة التي اتجهوا إليها عندما خرجوا من مصر (رحلة العودة).

وإذا ما استطعنا الوقوف على حقيقة الجهتين المذكورتين، توصلنا بسهولة إلى الأماكن التي شملتها الرحلة في مراحلها الأولى. يقول تعالى في سورة البقرة، الآية 61، "قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة". الهبوط هنا، يعني السير في اتجاه الشمال، أي في اتجاه جريان النيل، كما أن الصعود يعني الاتجاه نحو أعالي النيل. مما سبق، أقول أن بني إسرائيل حين هبطوا إلى مصر كانوا في منطقة أعلى من مصر، أي في السودان، إذ أن لفظ النزول يستخدم كثيراً في وادي النيل للدلالة على السير أو السفر إلى اتجاه جريان النيل – أي نحو الشمال –، كأن تقول مثلاً نازل من كريمة إلى دنقلا، ونازل من حلفا إلى أسوان. فالنزل إذاً هو الحركة نحو الشمال سواء كان ذلك براً أو بحراً (بالنهر).

أما الصعود في رحلة بني إسرائيل كما ورد في التوراة على لسان موسى عليه السلام:

* ورد في التوراة في سفر عدد، إصحاح، 33، فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس ونزلوا في سكوت (بلدة أثرية في المحس السودانية)، ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام التي بطرف البرية وساروا مسيرة ثلاثة أيام في بركة إيثام ونزلوا في مارة ثم ارتحلوا من مارة وأتوا إلى إيليم (بلدة قديمة تقع جنوب عطبرة، بين نهر عطبرة ونهر النيل، شرق الزيداب).



*- سفر الخروج، إصحاح 3، الآية 8، "فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة. إلى أرض تفيض عسلاً ولبناً.

2- نفس السفر والإصحاح، آية 17، "فقلت أصدكم من مذلة المصريين إلى أرض الكنعانيين والحييين. إلى أرض تفيض عسلاً ولبناً".

قبل الدخول في شرح الصعود، دعونا نعرف ما المقصود بالكنعانيين والحييين. كنعان وكوش هما أبناء حام بن نوح عليه السلام. ومعلوم أن مملكة كوش النوبية تنسب إلى كوش بن حام بن نوح عليه السلام. أما الكنعانيون، هم سكان الجزء الشمالي من النوبة، إذ أن لفظ "كنى" (kannai) يعني الشمال بالنوبية. ولا وجود لحرف العين في النوبية، وفيما بعد استخدمته العرب للدلالة على سكان شمال شبه الجزيرة العربية. أما الحييون، فهم سكان الحوي، وهي المنطقة الصحراوية الواقعة شرق بلاد النوبة وغربها إلى كردفان ودارفور. فالاسم النوبي للخوي هو (حوي)، كما جاء في التوراة. فالصعود هنا يعني السير نحو اتجاه الصعيد أي الجنوب، وهي المناطق التي ذكرناها.

فالنوبيون هم الأصل، فكل الشعوب تنتمي إليهم. فمن الخطأ الجسيم أن نقول: من أين أتى النوبيون.

الباب الخامس

اتجاه رحلة بني إسرائيل بعد خروجهم الأول من مصر:-

كما ذكرت سابقاً أن الرحلة الأولى لبني إسرائيل كانت من الجنوب إلى مصر. يقول الله تعالى في القرآن الكريم "قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير أهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأؤوا بغضب من الله". الهبوط أي النزول في وادي النيل يعني الاتجاه نحو مصب النيل كما يعني الصعود العكس - نحو منابع - ومهمة موسى عليه السلام كان تحرير بني إسرائيل من عبودية المصريين بعد أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة والغضب الإلهي، علماً بأن مصر آنذاك كانت تطلق على الأجزاء الشمالية من السودان الحالي وصعيد مصر، وذلك حسب ما أجمع عليه المؤرخون، علماً بأن الشمال المصري كان عبارة عن مستنقعات خالية من النشاط البشري. ويقول المؤرخ السنغالي الشيخ انتا ديوب: أن ما كان يسمى بمصر قديماً هو السودان الحالي. في التوراة، سفر الخروج، إصحاح (8)، آية (8)، على لسان موسى عليه السلام "فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم إلى أرض جيدة واسعة تفيض عسلاً ولبناً". وفي سفر التثنية، إصحاح 6، آية 1، "أحفظ شهر أبيب واعمل فصحاً للرب لأن في شهر أبيب أخرجك الرب إلهك من مصر ليلاً، شهر



أبيب من الشهور القبطية المشهورة في المنطقة النوبية، ويعتمد عليها النوبيون في توقيت زراعة المحاصيل المختلفة وتحديد ارتفاع وانخفاض النيل إلى يومنا هذا.

أسماء شهور السنة:
العربية - السريانية - الرومانية - القبطية - العبرية.

العربي	السرياني	الروماني	القبطي	العبري
المحرم	آب	أغسطس	توت	تشرى
صفر	أيلول	سبتمبر	بابة	مرحشوان
ربيع 1	تشرين 1	أكتوبر	هتور	كسلا
ربيع 2	تشرين 2	نوفمبر	كيهك	طابات
جمادي 1	كانون 1	ديسمبر	طوبة	شباط
جمادي 2	كانون 2	يناير	أمشير	آذار
رجب	شباط	فبراير	برمهات	نيسان
شعبان	آذار	مارس	برمودة	آيار
رمضان	نيسان	إبريل	بشنس	سيوان
شوال	آيار	مايو	بؤونة	تموز
ذو القعدة	حزيران	يونيو	أبيب	آب
ذو الحجة	تموز	يوليو	مسرى أو مصرى	أيلول



وملاحظة عابرة في السرد التوراتي توضح ذلك أكثر وذلك عند خروجهم من مصر، لأن بعض المواقع التي مروا بها في خط سيرهم (العودة) معروفة بأسمائها القديمة إلى اليوم. ورد في التوراة، سفر عد، إصحاح (33) آية (5) "فارتحل بنو إسرائيل من رعسيس ونزلوا في سكوت ثم ارتحلوا من سكوت (منطقة أثرية في شمال السودان) ونزلوا في إيثام التي بطرف البرية ثم ارتحلوا من إيثام ورجعوا على فم الحيروث (قد تكون خشم القرية) وعبروا في وسط البحر إلى البرية وساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية إيثام ونزلوا في مارة ثم ارتحلوا من مارة وأتوا إلى إيليم (بلدة قديمة تقع جنوب عطبرة بين نهر عطبرة ونهر النيل شرق الزيداب) وكان في إيليم اثنا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك ثم ارتحلوا من إيليم ونزلوا على بحر سوف (النيل الأزرق كما وضحنا سابقاً، فقلب حرف الفاء باءً شائع في النوبية مثلاً: للتمر: بنت وفنت، والكلام بنجد وفنجد) ثم ارتحلوا من بحر سوف ونزلوا في برية سين، ("برية سين" تعني بالنوبية "سينار"، وهو الأصل لاسم سنار المدينة السودانية)، "سين" تعني السرة بالنوبية أما "آر"، فتعني البرية والأرض والمنطقة، وتوجد مناطق نوبية كثيرة شبيهة مثل "كمنار"، أرض الجمل، "تمنار" أرض البطيخ، "حيثمار"، أرض الحيثيين. نجد كثيراً من الأسماء النوبية منتشرة في بقاع العالم، مما يجعل البعض يظن أن النوبيين أتوا منها، والصحيح العكس وذلك لقدم الحضارة النوبية مقارنة ببقية الحضارات. أوصل في السرد التوراتي: "ثم ارتحلوا من برية سين ونزلوا في دفقة". وتستمر الرحلة. وأثناء الرحلة قاموا بختان جميع أبناء الذين ولدوا في مصر وفي رحلتهم الطويلة، ورد في التوراة بأن المنطقة التي خنتوا فيها أبناءهم سميت باسم المختونين، والبلدة التي تحمل هذا الإثم في السودان هي (مريدي)، ومريدي باللغة النوبية تعني (المختونون).

الباب السادس: من هم اليهود وما معني اسرائيل؟

إسرائيل: يتكون من مقطعين: إسر isar، وتعني بالنوبية العطاء، وإيل، أداة اسم الفاعل في النوبية، والمعنى العام كثير العطاء، أي العطاء. أما "يهود"، فهم الفئة المتمردة التي اصطادت السمك في اليوم المحرم. و"هودي" تعني بالنوبية الصيد دون استخدام أدوات الصيد، أي القبض باستخدام الأيدي والأرجل، ونقول بالنوبية "كارى هودّي" karai hooddi، ونعني بها أقبض السمك باستخدام الأيدي والأرجل.



*إسرائيل: تتكون من مقطعين (إسر- isar) عطاء، وفعله (إسا) أما إيل: فهو أداة إسم الفاعل كما ذكرنا في الحلقات السابقة، والمعنى الكلي هو: العطاء أي كثير العطاء (كريم).
*هودي: فعل يعبر به عن عملية إصطياد الأسماك بالأيدي دون إستخدام أدوات الصيد، وقد تكون لهذا الفعل علاقة باليهود. إذ أنهم أي اليهود اكتسبوا الإسم بعد قيامهم بعملية الصيد المحرمة يوم سبتهم، وهم أصلاً من بني إسرائيل.

*التوراة:

(توراه - Torei) يعني عمود المحور الرئيسي في الساقية النوبية، وينقل الحركة من التروس إلى (أتي - atti) الذي ينقل الماء بدوره . ويوجد سفر في التوراة بإسم (عدد) وفي رواية أخرى (عتت) أما العمود الثاني في الساقية النوبية فيسمى (مشي - mishi).

*يوشع بن نون:

(خادم موسى عليه السلام). هو (أوشي) بالنوبية (المحسية)، علماً بأن حرف العين لا يوجد في النوبية.

*هامان:

يعني الرجل الثاني أو النائب، وذلك بلغة جبال النوبة (غرب السودان) وتوجد مفردات كثير مشتركة بين النوبة في الشمال والغرب على سبيل المثال لا الحصر:، المولود الأول في الغرب هو (كوكو) وفي الشمال (ككا) أو كقا. أسماء أيام الأسبوع هي نفسها تقريباً، وإلى عهد قريبة كان يوم السبت عطلة دينية عندهم، ولا يعرف أحد السبب.

*أور شليم:

(أور) تعني الملك بالنوبية كما ذكرنا في الحلقات السابقة، والمعنى (الملك شليم).

*أردن:

(أور) تعني الملك، و (أرو) تعني البحر أو النهر. أما (دان) فلها معنيان في قاموس الكتاب المقدس صفحة 356-357، (الأول: إسم عبري معناه (القاضي). الثاني: إسم شخص هو خامس أبناء يعقوب، وشمعون هو أحد مشاهير سبط (دان) وهو كان إبن سرية)، ولكن المعنى النوبي للأردن هو (الملك دن)



*قارون:

(قرّن - Gorren) يعني الفرّح أو المسرور بالنوبية .

*عيسى عليه السلام .

(أسي - Asse) يعني بالنوبية الفسيل offset وهو فرع ينمو من البراعم الإبطية للساق الأصلية، ويكون لهذا الفرع مجموعاً جذرياً مستقلاً ومجموعاً خضرياً يمكن فصلها عن النبات الأم ونقلها إلى مكان آخر، وهو ما يسمى علمياً بالتكاثر الخضري Vegetative Reproduction، مثال ذلك نبات الموز والنخيل. ولعل الشبه واضح في أن كلا الحالتين لا وجود فيهما للعنصر الذكري. وفي الآية (25) من سورة مريم يقول الله تعالى (وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) فالعلاقة واضحة بين السيدة مريم والنخلة، فهي انفصلت عن البشر وصامت عن الحديث معهم ولكن صلتها بالنخلة لم تنقطع وذلك في أحلك الظروف وذروة الأزمة. من العادات المتواترة عند النوبيون إنهم ما زالوا يستخدمون عصير التمر كطعام مفضل للمرأة النفساء وذلك في الأيام الأولى للولادة.

*الإنجيل:

(أنجي - Angi) يعني الحياة و(أنجي) يعني الفعل يحيا، أما (إيل - eal) فهو أداة إسم الفاعل كما ذكرنا من قبل. المعنى الكلي للإنجيل هو: المحيي .

الفصل الخامس

الباب الأول

شواهد أخرى من التوراة

*شجر السنط

في سفر الخروج، إصحاح، 26، آية(15): وتضع ألواح للمسكن من خشب السنط قائمة (16) طول اللوح عشر أزرع وعرض اللوح الواحد زراع ونصف... (18) وتضع الألواح للمسكن عشرين لوحاً



إلى جهة الجنوب نحو التيمن. لاحظ "نحو التيمن"، إذ أن جهة الشمال جهة التشاؤم، لأنهم عذبوا في الشمال واستعبدوا فيه بأيدي المصريين. وهناك عادة فتح أبواب البيوت نحو الجنوب سائدة إلى اليوم في المنطقة النوبية، كما أن أسطورة أن الشمال نذير شؤم أيضاً سائدة. ولا أحد يفتح بابه نحو الشمال بالإضافة إلى أن الصلاة لا تقبل إذا صليت وأنت متجه نحو الشمال ويقولون للشخص الذي يتلاعب في صلاته "أرون كنى قر سيقيدل" (Aron kanneigir siggiddell)، أي إن شاء الله صلاتك نحو الشمال. وشيء آخر أن ألواح السنط بهذا الحجم المذكور توجد بكثرة في السودان (سفر الخروج، إصحاح 17، آية 1: وتصنع المذبح من خشب السنط طوله خمس ذراع وعرضه خمس ذراع).

والقرآن الكريم حينما يتناول هذا المشهد في سورة القصص (آية 7): "وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين". في تفسير الجلالين يقول المفسر: إن أم موسى ألقى التابوت في بحر النيل ليلاً. (انتهى المصدر). أفهم من قوله تعالى "إنا رادوه إليك": أن رد موسى عليه السلام لم يكن لغرض الرضاة فقط، إنما الرد هنا رد مكاني ليمارس نشاطه الرسالي، وهو يدعم الاتجاه مرة أخرى إلى حيث أتى إلى الجنوب - إلى عكس جريان النيل الذي حمل التابوت إلى قصر فرعون، والله أعلم.

*نبات الحلفا

معلوم أن أكثر المناطق في العالم انتشاراً لنبات الحلفا هي المنطقة النوبية، وتسمى بلديتين فيها بوادي حلفا، مدينة حلفا في شمال السودان وقرية حلفا في جنوب دنقلا، شرق سورتود. والحلفا نبات طفيلي ينتشر بكثرة في أطراف النيل والأماكن القريبة منه، ويستخدمه النوبيون في صنع حبال الساقية والسفن الشراعية، كما يستخدمونه في بناء المساكن الشعبية وبيوت الحيوانات. ويعتبر هذا النبات رغم أهميته في حياة الناس نباتاً غير مرغوب فيه للمزارعين لأنه يعيق نمو المحاصيل الزراعية. ورد في التوراة في سفر الخروج، إصحاح 2، آية 3: "ولما لم تمكنه أن تخبئه بعد أخذت سبطاً من البردي وطلته بالحر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعت بين الحلفا على حافة النهر". الآية تشير إلى وجود الحلفا في المكان الذي ولد فيه موسى عليه السلام. وفي نفس الإصحاح، آية 5: فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغسل وكانت جواربها ماشيات على جانب النهر فرأت السبط بين الحلفا فأرسلت أمتها فأخذته.



*نبات البردي

يوجد هذا النبات بكثرة في السودان، وعلى امتداد نهر النيل، وهو نبات عشوائي أيضاً ينتشر على ضفاف النهر، ويسمى باللغة النوبية ديس (dees)، وفي العامية السودانية أيضاً يسمونه (الديس) بإضافة الـ التعريف. وهو عبارة عن ساق أسطواني طويل، أملس، يتراوح طوله ما بين متر ومتر ونصف في أغلب الأحوال، وعندما يشق طولياً يصير له سطحاً كسطح الورق يمكن الكتابة عليه.

* الأختام الفرعونية

عبارة عن قطعة مصنوعة من العاج أو العظم، السطح العلوي شكل الخنفساء والأسفل به رموز وحروف تشبه ما نراه في أهرامات البجراوية وجبل البركل، تسمى هذه القطعة بالنوبية "تينباب" (Teenbabb)، ويستخدمها النوبيون للتبرك ويلبسون أبناءهم وبناتهم في الختان والزواج لعهد قريب. وهذا التينباب لا يصلح مع جميع الناس، وهناك أشخاص معينون هم وحدهم الذين يحددون لمن يصلح هذا التينباب، وغالباً ما يكون هذا المتخصص من النساء. وعندما يعثر عليها "الشخص المحظوظ" في الأماكن الأثرية القديمة يقدمها للمتخصص ليضع تحت رأسها عند النوم ويحدد ما إذا كان يصلح لفلان أو علان. ومن أساطير هذه القطعة أن بعضاً منها يبارك في الأبناء وأخرى للمال، والسلطة، والماشية... إلى آخر الممتلكات.

*عبادة النيل

مظاهر هذه العادة سائدة إلى يومنا هذا في جميع أنحاء السودان تقريباً، ويمارسها السودانيون بدون قصد على اختلاف أديانهم. وذلك في مناسبات الزواج والختان والولادة ويأتون بالعريس والعروسة في اليوم السابع من الزواج و"يصبّحون" بهما النيل، والتصبيح يعني بالعامية السودانية الدخول إلى ماء النيل إلى أن يغطي القدمين ثم يغسل وجهه بماء النيل، وتقوم بعملية الغسيل هذه امرأة مخصوصة، غالباً ما تكون كبيرة السن. والغريب أن هذه العادة انتقلت إلى شرق السودان حيث يمارسونها على مياه البحر الأحمر.



الباب الثاني نهر النيل وأسماء أخرى

ني (ni) يعني الفعل يشرب، و"إيل" (eal) أداة اسم الفاعل. نيل: يعني الشارب. ولكن، إذا أضيف إليه النون وأصبح نيلان (Nealan)، فيعني المشرب. معلوم أن النيل يطلق على نهر النيل من المنابع في منطقة البحيرات الاستوائية إلى المصب في البحر الأبيض المتوسط. كما نجد الأثر النوبي في اسم مدينة نيمولي في جنوب السودان. "ني" يعني الفعل يشرب كما ذكرنا سابقاً، "مولي" (molai) يعني الجبل بالنوبية المحسية، ونفس المقطع يوجد في اسم جبال (الهمولايا) في قارة آسيا.

* - جبل توتيل في مدينة كسلا:

"توتّي" (tootty)، يعني الفعل يصعق أو يرمي أرضاً أو يرفس، و"إيل" أداة اسم الفاعل كما في الأفعال السابقة. وقد يكون لهذا الجبل علاقة بموسى عليه السلام، إذا ما دققنا النظر في القصة القرآنية، وطلبه رؤية المولى عز وجل. قال تعالى على لسانه عليه السلام: "قال رب أرني أنظر إليك، قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً". ولا يخفى على أحد من سكان مدينة كسلا السودانية ما يحظى به جبل توتيل من قدسية وتعظيم.

* - جبل التاكا في مدينة كسلا:

"دكاً" (dacka)، تعني السطح الذي يمكن الجلوس عليه - عادةً يصنع من الطين أو الحجر. وكان يستخدم قديماً كمقعد للجلوس وطاولة توضع عليها الأواني المنزلية.

الباب الثالث: المفردات النوبية في كل مكان

أواصل في هذا الجزء المعاني النوبية في أسماء الأنبياء والرسل عليهم السلام والأعلام. هنالك روايات عديدة عن هبوط آدم عليه السلام في الهند في أول الأمر، وهناك بعض الأسماء التي تحمل معاني نوبية في شبه القارة الهندية، على سبيل المثال:



*كاتوماندو:

العاصمة النيبالية، وتعني بالنوبية "أهبط هناك". كتي: تعني فعل الأمر "أهبط"، ماندو: تعني "هناك".

*جامو:

تعني بالنوبية فعل الأمر "أجمعوا" أو التقوا.

*كشمير:

تتكون الكلمة من مقطعين، "كشي"، يعني بالنوبية العشب، و"مير"، ويعني الفعل يقطع. "مار"، تعني القرية أو البلدة الصغيرة، كما نجد المقطع الأخير في قرى نوبية، مثل: حيثمار، مسيدمار، كرودمار، دشمار.

*هند:

إند (Indi)، تعني الأم بالنوبية.

*الفرس:

بالفارسية تنطق "برسي" (barisi)، وتعني بالنوبية صيغة الجمع للسجاد، وصيغة المفرد "برس".

*الكلدانيون:

"كلد" يعني الفحم أو الجمر بالنوبية، وهي اسم لبلدة أثرية في المحس (شمال السودان)، ولكنها تنطق حالياً "كلتوس"، حيث حولت الدال إلى تاء، أما "أوس"، فهي لاحقة رومانية أضيفت إلى كثير من المدن بعد دخول الرومان في مصر والسودان.

*الأكديون:

"أكد" تعني الغلام الذي لم يبلغ سن الرشد، والبلدتان، أكد وكدوس (كلد) هما في نفس المنطقة التي ذكرنا فيها الآثار الإبراهيمية في الحلقة الماضية، وكلتا البلديتين نجدهما في بلاد ما وراء النهرين.

*الأشوريون:

"أوش" مدينة في شمال العراق على نهر دجلة، وتعني بالنوبية المحسية العبد أو الأمة، وتنطق "أوشي". أما المقطع الأخير "أور"، فيعني الملك.

*السويس:

"أوسّي ويس" تعني البرزخ أو المعبر الطبيعي الذي يفصل بين ضفتي النهر أو البحر.



*تونس:

"تونسي" تعني بالنوبية البحيرة الداخلية، "تو" تعني البطن أو الداخل، "أسي" تعني الماء. "نون" أداة الإضافة.

*قرطاج:

ورد في جريدة القدس بتاريخ 1998/5/28، العدد 2813، تحت عنوان "زوجات سفراء العرب في واشنطن يجمعن التبرعات للمؤسسات الأمريكية"، على لسان محمد دبلح مراسل الجريدة قال: "وقد استرعى انتباهي التعليق الذي رافق رقصة اليسار ملك قرطاج الذي يروي قصة اليسار بنت الملك صور الذي كان قبل وفاته يريد أن يورث الحكم لها ولأخيها ولكن أخاها رفض أن تشاركه اليسار الحكم، فدبر مؤامرة ضدها وانتهت بقتل زوجها رئيس الكهنة وهربها مع مجموعة من أنصارها على ظهر سفينة حلت بهم الرحال إلى تونس وتعرفوا على ملكها الذي عرض عليهم بيع قطعة أرض بمساحة جلد ثور، فقامت اليسار بتقطيع الجلد إلى شرائط وحوطت به منطقة كبيرة هي قرطاج (المدينة الحديثة). "قر" تعني بالنوبية تعني الثور، و"تيج" تعني الشريط، كما تعني المبلغ الذي يدفع مقابل المخالفة أو ارتكاب جريمة ما.

*أنكا:

"كا" تعني البيت، أنكا: تعني بيتنا، إنكا: تعني بيتكم، مانكا: تعني ذلك البيت، بنكا: تعني بيت الرب.

الفصل السادس

الباب الأول: المفردات النوبية في وادي النيل

هنالك كثير من الأسماء تحمل معاني نوبية في وادي النيل:

*الجيزة: أصلها "قيسي"، وتعني الأهرامات بالنوبية، ومفردتها "قيس"، وكذلك تطلق نفس الكلمة على محصول التمر والغلغل عند وضعها في شكل هرم. ورغم أن المفردة نوبية الأصل، إلا أن العرب في السودان يستخدمونها أيضاً لنفس الغرض ولكنهم ينطقونها "القيساب".



***أبو الهول**: تتكون من مقطعين "أبل"، وتعني الحافة العالية التي يسببها تعرية مياه النهر، و"هول"، وتنتطق "كول" أيضاً. وتعني "صاحب" أو "ذو". كما نجدتها في أسماء كثيرة في السودان. "عرش كول"، تعني صاحب العرش، "كدي كول"، صاحب الثوب، "أمبو كول"، صاحب أشجار النخيل، "كلي كول"، صاحب الساقية. والمعنى الكلي لأبل هول هو "ذو الحافة العالية".

وقلب الكف هاءً مشاع في النوبية، مثال لذلك: "جهر - جكر" تعني الصنارة، "جهد - جكد" تعني الإدام. * **أخناتون**: يوجد اسمان في النوبية أقرب إلى أخناتون، 1/ **أقن Agin**: جالس أو باق، تنى **Tennei**: على الدوام، والمعنى العام جالس على الدوام. 2/ **آنجن:حي**. أما المقطع الثاني فهو نفس المعنى السابق: على الدوام. والمعنى العام: حي على الدوام. حرف الخاء غير موجود في اللغة النوبية وهو دائماً يأتي بدلاً عن حرف نوبي ينتج بنطق النون مع الجيم كحرف واحد وهو أقرب إلى نطق ch في كلمة chair الإنجليزية. ورد نفس الحرف في اسم توت عنخ أمون كما ذكرت ذلك في البحث، حيث قلت أن حرف الخاء لا يوجد في اللغة النوبية وكلمة "عنخ" أصلها "أنجي"، وتعني الحياة. توت: الابن، أمون أو أمنق: الماء، بالمحسية. ويمكن قراءة الاسم بطريقتين ليكون المعنى العام: ابن ماء الحياة، أمنق أنجي تود، أو توت أنجي أمنقندي. لاحظ أداة الإضافة "ندي"، وكلتا العبارتين تعني: ابن ماء الحياة.

***تود عنخ أمون**: الاسم يتكون من ثلاثة مقاطع، تود أو توت: تعني الابن، ونجدتها في أحمنتود: ابن أحمد، أمابتود: ابن أبينا، شمنتود: ابن شمد... وهكذا، كلها أسماء نوبية. عنخ: أصلها أنج Anch، وتعني الحياة، ويوجد نفس المقطع في الإنجيل كما بينا ذلك في الحلقات الماضية. أمون: تعني الماء وهي مرادفة لكلمة "أسي" والمعنى الكلي: ابن ماء الحياة. ويوجد نفس المقطع في المدينة السودانية أمون تقو، الاسم القديم لدنقلا العجوز وتعني: وادي أمون.

***واحة سيوة**: سيو: تعني الرمل.

***اسوان**: تتكون من مقطعين "أسي"، وتعني الماء، و "وان"، صفة لاندفاع المياه بممر ضيق كما في الشلالات مثلاً.

الباب الثاني: مملكة علوه

- علوة: أصلها "ألوه"، ألي: تعني: الحق، "وهـ" (wei) تعني: قائل، والمعنى العام هو: قائل الحق. والكلمة نفسها موجودة في المقطع الأول من أغنية الساقية النوبية (ألوه... أودا) والتي



يردها "أورتي" عندما يشغل الساقية. وفي التوراة ورد أن موسى عليه السلام ينتمي إلى قبيلة اللاوى. وفي قناة العربية بتاريخ 8/ يوليو 2005، ذكر الكاتب أسامة أحمد المصطفى ما يلي: "القبائل الحالية التي تعيش في جنوب السودان، وبالتحديد الدينكا والنوير والشلك، طارئة على المناطق التي تعيش فيها، إذ أنها نزحت إلى جنوب السودان في القرن السابع عشر الميلادي (هكذا تقول أساطيرهم). إنهم بقايا شعب "اللو" العظيم، فبعد أن قضى فيضان عظيم على حضارة شعب "اللو" على شاطئ بحيرة فكتوريا، هاجر فصيل منهم لمناطق الجزء الأكبر منها في مناطق المستنقعات الحالية، بينما أصل فصيل صغير منها مسيرتها وهم الشلك إلى موقع مدينة الخرطوم الحالية". وفي نفس المصدر: "ويذكر صاحب كتاب الطبقات محمد النور ضيف الله (1727-1809) أن قبائل الشلك أغارت أكثر من مرة على مدينة (أليس)، وهي تقع مكان مدينة الكوة الحالية جنوب الخرطوم، على بعد 180 كيلو متراً، وسرعان ما اختلطوا بالقبائل المجاورة لهم، وكانت الكثرة الغالبة منهم من الأعراب الذين اختلطوا بالسكان من بقية الدولة النوبية المسيحية المنهارة. وتشير كل الدلائل على أن السلطنة الزرقاء أو سطنة الفونج هي خليط من الشلك والنوبيين والعرب، وهذه التركيبة هي التي سادت حتى الآن وهي الأساس في التكوين الديمغرافي للسودان الحديث".

هنالك أسماء مناطق سودانية كثيرة ترجع أصولها إلى النوبية، وقبل أن أبدأ في عرض الأسماء يجب أن أوضح معنى اللاحقة "كول": تعني "صاحب"، أو "أبو" بالمعنى العام. مثلاً: أبو دقن، دقنكول (ساميكول)، أبو العرش أو صاحب العرش، عرشكول... وهكذا. وإليك بعض المناطق السودانية والتي تحمل أسماء نوبية:

الباب الثالث

أسماء نوبية لأماكن سودانية

1/ أمبكول:

أمبو: ساق النخيل أي خشب النخيل.

2/ عرشكول:

صاحب العرش.



3/ كدى كول:

كدى: الثوب، ويبدو أن المنطقة كانت مشهورة بصناعة النسيج.

4/ كليكول:

كلي، الساقية، أما كولو kulu فتعني الحجر.
والكاف (كا) ليست بالضرورة أن تعني البيت في جميع الحالات.

5/ كتياب:

أصلها كتي katti وهو من الأسماء النوبية المشهورة منها سور كتي . أما اللاحقة "آب" فهي لاحقة جعلية أضيفت إلى كثير من الأسماء، مثل: علي (علياب)، زيد (زيداب)، فضل (فضلاب)... وهكذا.

6/ كاملين:

أصلها: كاملي: وتعني الجمال، وربما كانت مشهورة بالجمال.

7/ كجبار:

تعني مرقد الخيول، أما إذا صار الاسم (كشوار): فتعني: الإعصار. وقد يكون وصفا لشدة اندفاع الماء في الجندل.

8/ كدرو:

أصلها كدى أرو: تعني الثوب الأبيض.

كاسنجر: تتكون من مقطعين، كا + اسنجر، كا: تعني البيت، اسنجر: تعني المكان البعيد من البحر أو من الماء.

9/ كدباس:

تتكون من مقطعين، كدى + باس، كدى: تعني الثوب كما ذكرنا سابقاً. باس: تعني القطعة من الثوب بعد شق عرضها لنصفين.

10/ كردة:

أصلها: أ- كردا kereda: وتطلق على نوع من النجيلة شبيهة بالسعدة، تنمو في أطراف النيل بين نبات الديس (البردي)، ب- كرد korodd: وتعني الحصى، وتوجد وجدها في المقطع الأول لـ كردفان.

11/ كربة:

أصلها: كرب: وتعني العنكبوت، أما تاء التأنيث فهي لاحقة عربية للتصغير.



12/ كاز قيل:

لها عدة معان وتتكون من مقطعين:

- أ- أصلها: كاسقيلي، كاس: تعني الزهرة، قبلي: تعني الأحمر، المعنى الكلي: الزهرة الحمراء.
ب- كاس: اسم لسمكة نيلية ذات قشور وخطوط حمراء على الجانبين، قبلي: الأحمر.
ج- كاسر قبلي: العمامة الحمراء.

13/ كوستي:

كو: يعني الأسد، أتي: قرب أو بجانب، وعندما تقول "كوسنتي"، تعني قرب الأسود، أي بجوار الأسود.

أما الجزيرة فتسمى بالنوبية: آرتي، كما في حسينارتي، أو بنقنارتي، جزيرة الجراد.

14/ كارتوم:

كار: في البيت أو عند البيت، تومي: أدخل، أما جملة كارتومي، فمعناها: أدخل البيت.

15/ قرير:

نوع من التربة الطينية الخصبة.

16/ جكدول:

اسم لبئر: أصلها "شكيدور"، وتعني: أخفض رأسك إلى أن تصل؛ بالعامية (دنقر لمن تصل).

17/ بكبول:

تعني المختفي.

18/ كبوشية:

أصلها كبنجي: وتعني الأبواب. هكذا ذكر في رسالة للدكتور عوض حمزة.

19/ كرمة:

أصلها كورمي (kurmei): اسم لشجرة تنمو في أطراف النيل وغالباً ما يكون الجزء الأسفل منها داخل الماء، وارتفاعها حوالي 4 أمتار ولها أوراق شبيهة بأوراق شجرة النيم، وتصنع من أخشابها البكرات الخاصة بالمراكب النيلية وكذلك أرجل العناقيريب.

20/ كورتي (kurti):

1/ تعني الركبة، بشد الرء وضمها. أما كورتي (koortei): فتعني نوعاً من العصيدة. 2/ كو: الأسد، آرتي: تعني الإله. لاحظ الفرق بينها وبين "آرتي" (الجزيرة).



21/ كالكلة:

تتكون من مقطعين: كل kell : تعني الجيش. كلا kalla: الدافع، وفعله "كَلَّى": يدفع.

22/ كرري:

أصلها: كرري بشد الرء وكسر ها kerri: وتعني المظلة (الراكوبة).

23/ دبه:

دَب: تعني الفعل يضيع، دَبَر dabber تعني: الضياع.

24/ الزومة:

زومة: تطلق على الجزء البارز الممتد إلى داخل النيل.

25/ تنقسي:

تونكسي: تطلق على المولود الأخير، والذي تنقطع المرأة بعده عن الإنجاب.

26/ دنقي:

وردت في إحدى المشاركات في موقع سودانيات أن (دنقي) الدنقلاوية تعني نفس المعنى في الروسية. وأقول أن انتشار مفردات لغة ما يدل على قدم هذه اللغة. ويقول الباحث السوري محمد رشيد ذوق: أن من ضمن الشروط التي يجب توافرها في لغة الإنسان الأول أن تكون مفرداتها منتشرة في جميع أنحاء العالم القديم والحديث، وخاصة في الأمكنة التي يفترض أن الإنسان الأول عاش فيها.

27/ أصل المحس:

الاسم النوبي "مسي" Massi، وقد ورد في التوراة ضمن نقباء بني إسرائيل الاثني عشرة (أبناء منسي)، وكذلك أبناء الحويين، علما بأن اسم الخوي بالنوبية هو (هوي). وأبناء الحيثيين، وحيثما بلدة قديمة معروفة في شمال دنقلا.

28/ أما عن أصل: شندي، دنقلا، الجعليين:

فقد ذكر المرحوم الأستاذ عبد المنعم حاج الأمين في بحث له عن التاريخ النوبي ما يلي: أ-دنقلا: أصلها دَبْ قبلي، ومعناه: القلعة الحمراء.



ب- **شندي**: أصلها: شوندي Shondi وتعني الفعل "ينفض" العامية السودانية، سميت بذلك عندما نفص بعانخي ابنه، وأسكنهما هناك وقسم لهما أراضي المنطقة إلى قسمين متساويين (مروي) أصلها (مر أوي) أي: قطعتان.

ج- **جعلي**: أصله: جولي ويطلق بالنوبية على الإنسان الذي يسير ماشياً باستمرار. ويقول الأستاذ عبد المنعم: أن الجعليين هم نوبيون ولكنهم هاجروا إلى جزيرة العرب ضمن اتفاقية البقط التي تمت بين ملك النوبة وخليفة المسلمين (360 شخص سنوياً)، واستمر الحال عدة سنوات إلى أن قامت الدولة العباسية، وبعد مفاوضات بين ملك النوبة والخليفة العباسي تم إعادتهم مرة أخرى، وجاءوا بنسائهم وأبنائهم وكامل عتادهم الحربي. وخشي ملك النوبة من شرهم وأمرهم بالإقامة عند البوابة الجنوبية للملك، وهي منطقة كبوشية وتعني الأبواب بالنوبية. أما العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فله من الأبناء: عبد الله، محمد، الفضل، ذرية عبد الله ومحمد. معروفة في كتب أنساب العرب، أما الفضل الذي يُزعم أنه جد الجعليين، فلم ينجب أبداً، فهم ينتمون إلى الدولة العباسية لا العباس عم النبي (انتهى المصدر).

29/ رقصة الكمبلا:

كا: تعني البيت، بلى: العرس أو الزواج، والمعنى الكلي: زواج البيت.

30/ دينكا:

دين: تعني الأصل، كا: تعني البيت، المعنى الكلي: بيت الأصل، وتطلق على رأس الجزيرة في النيل أي الجزء الذي بدأ به تكوين الجزيرة.

31/ كردفان:

كرد: الحصى أو الرمل ذو الحبيبات الكبيرة، فان: يقذف، والمعنى العام: الرمال المتحركة.

4/ كدرو:

الثوب الأبيض.

41/ سوبا:

التيار الجارف، ويطلقها البحارة في النيل على التيارات الهوائية القوية. وقد يكون من أسباب التسمية التيارات القوية في مياه النيل الأزرق، وقد ورد في التوراة اسم "بحر سوف"، سفر عد، الإصحاح،



33، الآية 5، 'فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس (رعمسيس) ونزلوا في سكوت ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام التي في طرف البرية ثم ارتحلوا من إيثام ورجعوا على فم الحيروت" (قد تكون خشم القربة) وعبروا في وسط البحر إلى البرية وساروا مسيرة ثلاثة أيام في برية إيثام ونزلوا في مرة ثم ارتحلوا من مرة وأتوا إلى إيليم (بلدة قديمة على نهر عطبرة) وكان في إيليم اثنا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك ثم ارتحلوا من إيليم ونزلوا على بحر سوف (النيل الأزرق) ثم ارتحلوا من بحر سوف ونزلوا في برية سين ثم ارتحلوا من برية سين (سنار بالنوبية) ونزلوا في دفقة ثم ارتحلوا من دفقة ونزلوا في ألوش (مع ملاحظة أن السين كثيرًا ماقلب شيئاً في العبرية) ثم ارتحلوا من ألوش ونزلوا في رديم (قد تكون لها علاقة بالرفيدية) ولم يكن هنالك ماء للشعب ثم ارتحلوا من رديم ونزلوا في برية سين". هذا جزء من رحلة النبي لئيلي إسرائيل وهم في بحث دائم عن الأرض الواسعة التي تفيض لبنا وعسلاً، ووردت في آيات توراتية كثيرة أن القدس كان يقام في كل مكان يستقرون فيه أثناء رحلتهم ولم يكن محددًا بمكان معين.

الفصل السابع

الباب الأول: اللغة النوبية والقرآن الكريم حول حقيقة أصول الألفاظ الغير عربية في القرآن الكريم

يقول ابن عطية: "إن هذه الألفاظ في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها، فهي عربية بهذا الوجه. وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارة ورحلتي قريش وكسفر مسافر بن أبي عمرو إلى الشام وكسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمر بن العاص وعمار بن الوليد إلى أرض الحبشة وكسفر الأعشى إلى الحيرة. ففعلت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص في حروفها وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرى مجرى العربي الصحيح، ووقع بها البيان. فإن جهلها عربي ما، فكجهله بما في لغة غيره .

كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر..الى غير ذلك.

*الألفاظ هي:



المشكاة: تعني الكوة
الطور: الجبل
الكفلين: الضعفين وهي حبشية
قسورة: الأسد، حبشية
الغساق: البارد المنتن، تركية
القسطاس: الميزان، لغة الروم
السجيل: الحجارة والطين، لغة الفرس
اليم: البحر، السريائية
التنور: وجه الأرض". انتهى المصدر.

وسأذكر بعض الكلمات النوبية في القرآن الكريم والتي كان العرب يستخدمونها آنذاك، وقد رجع مؤلف مباحث في علوم القرآن، الدكتور مناع القطان، أصول هذه الكلمات إلى الفارسية والحبشية والصحيح أنها ترجع إلى الأصول النوبية، ولأن اللغة النوبية رغم احتوائها للتاريخ الإنساني إلا أن الإهمال المتعمد الذي ألمّ بها من قبل المسؤولين في شمال وجنوب الوادي كان سبباً كافياً لتجاهل الآخرين بأسرار هذه اللغة، وبرز ذلك جلياً في أعمال كثير من الكتاب والباحثين يرجعون المسميات النوبية القديمة إلى حضارات أخرى برزت في الوجود بعد الحضارة النوبية بمراحل زمنية متفاوتة. واليكم بعض الكلمات ذات الأصول النوبية في القرآن الكريم، منها:

- **قسورة:** قال تعالى "كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة"، وهي تتكون من مقطعين، قوس: وتعني أسفل الحلق أي الجزء الأمامي للرقبة، ورل: تعني يتشبث أي يمسك مع القفز و"قوسورل" هو اسم صفة للحيوان المفترس، وذلك بالنوبية.
- **حطة:** قال تعالى في سورة البقرة "وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً". حطة تعني الحاجز بالنوبية وهي تعني نفس المعنى في القرآن الكريم، فعندما يقال بالنوبية "حطه أكى ميرن"، يقصد بها: بيني وبينك حاجز.
- **هش:** قال تعالى في سورة طه على لسان موسى عليه السلام "وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى". هش تعني: قف للحيوان، بالنوبية. وتعني نفس المعنى في القرآن الكريم.



- **بساً:** قال تعالى في سورة الواقعة واصفاً أهوال القيامة "وبست الجبال بساً؛ بسّ: تعني الفعل ينفجر وينفتت، بالنوبية، وفي القرآن الكريم تعني التفطيت والانفجار.
 - **تور:** قال تعالى في نفس السورة "أفرأيتم النار التي تورون"؛ تور: تطلق على الفعل يشتعل وعلى اسم آلة الكير التي يستخدمها الحداد في نفخ النار وذلك بالنوبية في الشمال والغرب. وفي القرآن الكريم نفس المعنى، أي: توقدون.
 - **قرّتي:** قال تعالى "قرة عين لي ولك"؛ قرّتي بالنوبية تعني: الفرح، وسبق أن ذكرناها في اسم قارون في الحلقات السابقة.
 - **دكاء:** هي المنضدة أو المقعد من الطين. قال تعالى "فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً". سبق أن ذكرنا بتوسع في الأبواب السابقة عندما شرحنا معنى توتيل تاكا.
 - **إدا:** قال تعالى في سورة مريم "لقد جئتم شيئاً إداً"؛ أودّي: تعني الفضيحة والعار بالنوبية.
 - **عوان:** قال تعالى في سورة البقرة (آية 68) في وصف بقرة بني إسرائيل "إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك"؛ **عوان:** أصلها بالنوبية "أوان": وتعني المرحلة أو الفترة، أما السنة بالنوبية فهي "جن jenn".
 - **سامدون:** قال تعالى في سورة النجم الآية 60/61 "تضحكون ولا تبكون، وانتم سامدون". سامدون: تعني بالنوبية: سكارى، والاسم منها: ساميد: السكر.
 - **عربي:** أصلها بالنوبية "أريبو Arribu"، وتعني: الواضح والباين والظاهر.
 - **أعجمي:** أصلها بالنوبية "أغمي Agumi"، وتعني الفعل يجتر، أما اسمه فهو: أغميد Agumeed، وهو الاجترار. والمعنى الضمني هو: غير واضح أي مبهم، ومعلوم أن الاجترار يتم داخلياً في الحيوانات المجتررة .
 - **رهو:** وردت الكلمة في سورة الدخان، الآية 24، في قوله تعالى "واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون"، وقال المفسرون في معناها: اترك البحر منفرجاً هادئاً ساكناً كهيئته بعد أن ضرب موسى بعصاه زعموا أن "رهواً" تعني: ساكناً هادئاً منفرجاً. والصحيح أن كلمة "رهو" كلمة نوبية تعني: الهرولة، والنوبيون يطلقونها على نوع معين من مشي الدواب وهو بين السرعة الشديدة والبطيئة (بالعامية: جكة) ويقال: "رهواني" أيضاً.
- هنا يجب أن أوضح للقراء أن الكلمات النوبية المذكورة آنفاً كان العرب يستخدمونها بجانب ألفاظهم العربية ولذلك نزل بها القرآن الكريم.



** الملاحظ أن غالبية المفردات ذات الأصول النوبية في القرآن الكريم ترد في السور التي لها علاقة بموسى وعيسى عليهما السلام.

الباب الثاني: النوبية وأسماء الملائكة

- **إسرافيل:** "أسر"، تعني البوق وتعني أيضاً القارورة، "أفيل" تعني النافخ، والمعنى الإجمالي نافخ البوق.
- **ميكائيل:** "مكي"، فعل يعبر به عن جمع ثمار النمر عند الحصاد، والمعنى العام هو: جامع الثمار.
- **عزرائيل:** أصلها "إدراثيل" وتعني المشل للحركة، وبالنوبية عندما يقال "إجين أركون"، يقصد بها أن سم العقرب تمكن فيه وجعله لا يتحرك وأصبح بمثابة الميت. وهنا أريد أن أوضح أن جميع الأسماء التي تنتهي باللاحقة "إيل" تنتمي إلى اللغة النوبية، علماً بأن إيل هي أداة اسم الفاعل في النوبية.

الباب الثالث: قطع أثرية تحمل أسماء نوبية في متاحف العالم

- هنالك كثير من القطع الأثرية الموجودة في متاحف العالم والتي تحمل أسماء نوبية، كما توجد معي صور لمجموعة من هذه الآثار ولكني لم أتمكن من إرفاق الصور لنشرها وذلك لوجود بعض الصعوبات الفنية واكتفيت بالقليل منها مع التعليق الذي ورد في أسفل الصورة بالإضافة إلى شرح الأسماء النوبية التي احتوتها، منها:
- **تمثال الملك استوب أيلوم:** ورد في كتاب لغة آدم أن هذا التمثال وجد في قصر ماري مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، منحوت من بازلت أسود، ارتفاعه 152 سم الآن في متحف حلب بسوريا. أستوب أيلوم: أستوب: تعني خواض البحر. أيلوم: تعني التمساح، المعنى الكلي بالنوبية: التمساح خواض البحر.
- **تمثال كودرو:** نقلت هذه الكودرو من بلاد بابل إلى سوس كغنيمة حربية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، يتكون من حجر كلسي أسود، ارتفاعه 50 سم، الآن في متحف اللوفر في باريس. كو: تعني الأسد. درو: تعني كبير السن. المعنى الكلي بالنوبية: الأسد الأكبر.



- **تمثال العجل حامل الصاعقة (أدد) إله العاصفة:** يوجد ضمن مجموعة من الأشكال في مسلة الملك نبوكد نصر الأول، مكون من حجر كلسي (ارتفاعه 55,9 سم). الآن في المتحف البريطاني - لندن . أدد: تعني الصاعقة بالنوبية.
- **تمثال جرسو:** ثور برأس بشرية من العصر السومري الجديد، حوالي (2150 سنة) قبل الميلاد، مكون من حجر الدهن (ارتفاعه 12 سم)، الآن في متحف اللوفر في باريس. جر: أي قر: تعني بالنوبية الثور.
- **حصن سملنصر:** نوبي يحمل غزالة ويمسك برقبة نعامة من القرن الثامن قبل الميلاد ومكون من عاج (ارتفاعه 3, 13 سم). وتعني بالنوبية: على درب شيخ المكر. الآن في متحف بغداد.
- **تمثال أدد نيراي:** في مسلة للملك وجدت في كارانا (تل الرماح) مكون من مرمر (ارتفاعه 130 سم) الآن في متحف بغداد. أدد نير: تعني بالنوبية مطر الصاعقة.

الباب الرابع: حكم وأمثال نوبية

*سرى قاوول ميللي نالمون

Serai gawill milly nalmun

من يعمل الطيب لا يرى المكروه

*أرويس أوي كبكي كيديقرين

Areweess owwy coopki kiddigirin

ريسين غرقوا المركب؛ عند التنازع لزعامه أمر معين.

*كم أورتنجين برر دابل

Come ortigin barrer dabull

الجمل وسط الغنم؛ في الإنسان الذي يخالط من هو أصغر منه سناً.

*قور كون تر أجين أقركي أديقرين

Gore con ter achin agarki oddigirin

النملة توجع محل عضتها؛ في من يحقر مجهود فرد مهما كان ضئيلاً.

*قورتود نسي باج جنقيمون



Gortoud nessi bajangmun

سوقة العجل لا تملا الحوض؛ من يوكل أمر مهة خاصة بالكبار إلى أطفال صغار

*أيوكول قمبو جوميل

Aiwcoll gampu jommill

هذه لآبد من قصتها كان هنالك غراباً معشعشاً على نخلة، فأتى الثعلب بفأسه وضرب جزع النخلة عدة مرات مهدداً للغراب إما أن ينزل له البيض وإلا قطع النخلة، وتكررت العملية ولم تقع النخلة، فاطمأن الغراب بعد ذلك وأصبح لا يبالي بتهديد الثعلب. فأصبح المثل يضرب للشخص الذي يقول ما لا يفعل. ويقابله باللغة العربية: أسمع جعجة ولا أرى طحيناً. وبالعامية السودانية: السوأي مو حدّاث.

*أبدى بونقون أريق توبيل

Abdebboon gon orig tuppell

عينك عليها تنوم بدونها أي: تراها أمامك؛ في الشخص الذي يتوقع فائدة ويتابعها طويلاً ولكنه يحرم منها في نهاية الأمر.

*قالون جاورو بونقون أسي نيركد دييل

Galonjawurro poongon assi nairked diall

راقد جنب الزير ومات عطشاً؛ في الذي يكون لديه الفرصة المتاحة للاستفادة من شيء، ولكنه لا ينتهزها.

*كم تن كورنقي نالمون

Come ten kurungi nalmoon

الجمال لا يرى سنامه؛ في من ينشغل بعيوب الآخرين وينسى عيوب نفسه.

*دنقرن دار قوشكا غالين

Dungurin dar goshka galin

الأعور غالي في دار العمايا؛ في الذي يتكبر ويتظاهر بالتفوق في أوساط البسطاء.

*ول سومركيرقي دنقركي أوسكيكون

Well sumarkiregi dungurki oskikon

الكلبة باستعجالها ولدت عميان؛ نفس معنى المثل العربي "في العجلة الندامة".



*بانتر تول أركي تاغيرمون

Bantir toll orki tagirmun

من يرقص لا يغطي شعره؛ نفس معنى "إن لم تستح فافعل ما شئت".

* أوام مشرر توبي مونون

عوامة الإنقاذ لا ترقد في المشرع

Owwam mushrar tuppi munun

لا تضع شيئاً في مكان يحتاج إلى استخدامه الناس وتلوم الآخرين في استخدامه.

أسماء الأعداد النوبية على الترتيب

1/ وير - Were

2/ أوي - Owwi

3/ توسكي - Toski

4/ كمييس - Kamiss

5/ دييج - Dijj

6/ قورييج - Gorige

7/ كولود - Colodd

8/ إديو - Idiw

9/ إسكود - Iscode

10/ ديمين - Dimin

11/ ديميندو وير - Dimido Ware

12/ ديميندو أوي - Dimindo Owwi

وهكذا إلى 19

20/ ديمين أوي - Dimin Owwi

21/ ديمين أوي وير - Dimin owwi Ware

22/ ديمين أوي أوي - Dimin Owwi Owwi



- 23/ ديمين أوي توسكي – Dimin Owwi Todki
وهكذا إلى 29
- 30/ ديمين توسكي – Dimin Toski
- 31/ ديمين توسكي وير – Dimin Toki Ware
- 32/ ديمين توسكي أوي – Dimin Toski Owwi
وهكذا إلى 39
- 40/ ديمين كمييس
- 50/ ديمين دييج
- 60/ ديمين قورييج
وهكذا إلى 90
- 100/ إميل – Emill
- 101/ إميلويري وير – Emilwairi Ware
- 102/ إميلويري أوي – Emilwairi Owwi
- 110/ إميلويري ديمين
- 111/ إميلويري ديميندو وير
وهكذا إلى 199
- 200/ إميل أوي
- 201/ إميل أوي وير
- 300/ إميل توسكي
- 400/ إميلكمييس
- 500/ إميلدج
- 1000/ دونال – Donall
- 2000/ دونال أوي
وهكذا.



الخاتمة

في الختام أود أن أؤكد أن الحضارة النوبية رغم ثرائها وعظمتها وعلاقتها بحضارات عتيقة، إلا أن ما نجهله عنها أكثر وأعظم. فالحضارة في مفهومها الواسع تعني جميع القيم والأيدلوجيات والأفكار التي تنبثق عنها التقاليد والنظم والأعراف، وبإيجاز هو كل ما يرتبط بحركة المجتمع ونشاطه. فاللغة دائماً هي وسيلة الاتصال الرئيسية في هذه الحركة، والنوبيون بلغتهم كان لهم دور ما في هذا التفاعل مما أدى إلى ظهور ذلك الأثر جلياً في علاقة مفردات اللغة بأسماء الأعلام والأنبياء عليهم السلام. ومع تكرار الملاحظات وازدياد الأدلة، تكونت فكرة البحث، فقد كانت في عام 1998 في اليمن حيث كنت أعمل هناك في مجال التربية والتعليم، عندما بدأت بإعداد قاموس عن اللغة النوبية، وبالفعل بدأت بجمع الكلمات الأساسية ومعانيها في ثلاثة قوائم: نوبية – إنجليزية – عربية. وبعد أن جمعت من المفردات عدداً لا بأس به، لاحظت أن هنالك تشابهاً بين الألفاظ النوبية وأسماء الأعلام والأنبياء عليهم السلام وعلاقة ما في المعنى أيضاً. زادت العلاقة والتشابه طردياً مع زيادة عدد الكلمات، وعندما أجّلت أمر القاموس وبدأت أبحث في علاقة هذه اللغة وأسماء الأنبياء عليهم السلام والأعلام. كان كثير من الأخوان يساندونني في الفكرة، فكنت أناقش ما أكتبه أولاً بأول في جلسات مع الأخوة السودانيين، فجلسات اليمن لها طعم خاص، فلا توجد جلسة دون أن يكون فيها موضوع محدد للنقاش، فكل من حضر جلسة مفيداً أو مستفيد، فكانت هنالك جلسات خاصة بالسودانيين في بيوت الأخوة سعيد علي سعيد، مصطفى صديق، حسن مصطفى (حسن خولاني)، محمد عبد الحميد الحفاوي. فكان لكل جلسة موضوع معين يطرح في بداية الجلسة ثم يناقش بجميع جوانبه بصورة منتظمة برئيس جلسة وبتوزيع عادل للفرص، يستمر النقاش أحياناً إلى الساعات الأولى من الفجر. من ضمن المواضيع التي طرحت كان بحثي "اللغة النوبية والحضارات القديمة"، وقد خصصت له جلسة في منزل الأخ سعيد علي سعيد، فكان تشجيع الأخوة حافزاً قوياً لي بالمواصلة في البحث، ولا أنس توجيهات الأستاذ سيد أحمد الحارذلو سفير السودان الأسبق في اليمن، والأستاذ محمد أدروب الباحث البجاوي المعروف، فجزاهم الله خير الجزاء وأمد في عمرهما.

عند عودتي إلى السودان عام 2001، قابلت الدكتور علي عثمان محمد صالح بجامعة الخرطوم، ثم الدكتور جعفر ميرغني وعرضت عليه البحث فعقد معي جلستين للنقاش؛ الأولى في مكتبه بجامعة الخرطوم والثانية في معهد الحضارة، فكان لتوجيههما الأثر الكبير في ظهور البحث بصورته الحالية. ولا أنس توجيهات الدكتور صلاح محيي الدين الذي وجهني لاختيار ما هو مناسب من المراجع.



رغم الصحة العالمية التي غزت جميع مجالات البحوث والدراسات الحضارية، إلا أن سؤالاً مازال يلازم فكري: لماذا هذا الإهمال واللامبالاة من قبل المسؤولين للحضارة السودانية؟ أرى أن الاهتمام الذي تجده الحضارة النوبية من جهات خارجية أعظم وأكبر بكثير مما نبذله نحن في داخل السودان، هل السبب أننا زاهدون عن تاريخنا وتراثنا؟ أم أن الأمر لا يعيننا لا من قريب أو من بعيد؟ يستحسن بل يجب أن تكون الجهود الخارجية مكتملة لما نبذله نحن في الداخل. ولعل السبب الرئيسي لقيامي بهذا البحث المتواضع هو خشيتي على زوال هذه اللغة (اللغة النوبية) وزوال الحقائق التاريخية مع زوالها، كما كان خوفي أشد من أن تسود الافتراضات الوهمية في حقل الدراسات الحضارية كما هو الآن في نمو مضطرد دون رقيب أو حسيب.

هدفياً أولاً وأخيراً هو إبراز بعض الجوانب التي أراها قاتمة في ميدان البحوث والدراسات. فالحضارة الإنسانية هي أصل مشترك تلتقي عندها الشعوب والأمم بمختلف ثقافتها ومواقعها كما أن الجهود التي تبذل هي جهود مشتركة تأتي ثمارها لخدمة الإنسانية جمعاء. ومن هذا المنطلق، تأتي أهمية عرض الأفكار والآراء على أوسع مجال والوصول بها إلى مرافئ الحقيقة بهدف إثراء الجهود المبذولة في حقل الدراسات الحضارية من حيث أن الإنسان وحضارته نبع أساسي مشترك.

المراجع

- 1 – القرآن الكريم.
- 2 – الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. Arabic Bible .43-UBS-EBF1996 Series 7-5M
- 3 – أطلس الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
- 4 – لغة آدم، محمد رشيد ذوق، جرس برس، الطبعة الأولى 1995 طرابلس لبنان.
- 5 – البداية والنهاية لابن كثير.
- 6 – قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار.
- 7 – قصص الأنبياء، أبي إسحاق أحمد النيسابوري المعروف بالثعلبي.
- 8 – قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود. الطبعة الرابعة، مطابع الدجوي، القاهرة عابدين، 1973
- 9 – قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين، الطبعة السابعة 1991، دار الثقافة، ص. ب 1298 القاهرة



- 10 – مجلة الدراسات السودانية (أعداد مختلفة).
- 11 – جريدة الشعب المصرية، 1996/8/27
- 12 – جريدة القدس اللندنية، العدد 2813
- 13 – زيارات ميدانية لبعض الشخصيات من جبال النوبة ومن قبائل الميذوب.
- 14 – مقال مترجم للأستاذ طه يوسف حسن من القناة الأولى السويسرية.
- 15 – جريدة السوداني العدد، 353 بتاريخ 2006/11/1
- 16 – موقع إجبتي.

* **الخير محمد حسين**، باحث سوداني، مهتم باللغة والثقافة النوبية.

